او قدا سرع الى غير ذلك فتعرف لكل من ذلك موضعه وتجي به حيث ما ينبغي له وتنظر
في الحروف التي تشترك في معنى ينفرد كل منها بخصوصية في ذلك المعنى فتضع كلا من
ذلك في خاص معناه نحو ان تاتي بما في نفي الحال وبلا في نفي الاستقبال وبان فيما يتردد
بين ان يكون وبين ان لا يكون وباذا فيما علم انه كائن وتنظر في الجمل التي تسرد فتعرف
موضع الفصل من موضع الوصل وفي الوصل موضع الواو من الفاء والفاء من ثم
وغير ذلك وتتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار و
الاظهار والاضمار فتصيب بكل من ذلك مكانه وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي
له ثم ليس هذه الامور المذكورة من التعريف والتنكير والتقديم والتاخير راجعة
الى الالفاظ انفسها ومن حيث هي هي ولكن تعرض لها بسبب المعاني والاغراض
التي يوضع لها الكلام بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض
تنكير مثلا له مزية في لفظ وهو في لفظ اخر في غاية القبح بل وهذه اللفظة منكرة في
بيت اخر قبيحة والى هذا اشار المص بقوله فالبلاغة صفة راجعة الى اللفظ لكن
لا من حيث انه لفظ وصوت بل باعتبار افادته المعنى يعني الغرض الموضوع له
الكلام بالتركيب متعلق بافادته وذلك لما مر من انها عبارة عن مطابقة الكلام
الفصيح لمقتضى الحال وظاهر ان الكلام من حيث انه الفاظ مفردة وكلم مجردة من
غير اعتبار افادته المعنى عند التركيب لا يتصف بكونه مطابقا له او غير مطابق
ضرورة ان هذا المعنى (مطابقة الكلام وعدم مطابقته) انما يتحقق عند تحقق المعاني والاغراض التي يصاغ لها الكلام
وكثيرا ما نصب على الظرف لانه من صفة الاحيان وما لتاكيد معنى الكثرة و
العامل ما يليه على ما ذكر في الكشاف في قوله تعالى قليلا ما تشكرون اي في كثير
من الاحيان يسمى ذلك الوصف المذكور فصاحة ايضا كما يسمى بلاغة وفي
اشارة الى دفع التناقض المتوهم من كلام الشيخ في دلايل الاعجاز فانه ذكر في
مواضع منه ان الفصاحة صفة راجعة الى المعنى والى ما يدل عليه باللفظ
دون اللفظ نفسه وبعضها ان فضيلة الكلام للفظه لا لمعناه حتى ان المعاني

مطروحة

مطروحة في الطريق يعرفها الاعجمي والعربي والقروي والبدوي ولا شك ان الفصاحة
من صفاته الفاضلة فتكون راجعة الى اللفظ دون المعنى فوجه التوفيق بين الكلامين
انه اراد بالفصاحة معنى البلاغة كما صرح به وحيث اثبت انها من صفات الالفاظ
اراد انها من صفاتها باعتبار افادتها المعاني عند التركيب وحيث نفى ذلك
اراد انها ليست من صفات الالفاظ المفردة والكلم المجردة من غير اعتبار التركيب
وح لا تناقض لتغاير محلي النفي والاثبات هذا خلاصة كلام المص وكانه لم يتصفح
دلايل الاعجاز حق التصفح ليطلع على ما هو مقصود الشيخ فان محصول كلامه فيه
هو ان الفصاحة تطلق على معنيين احدهما ما مر في صدر المقدمة ولا نزاع في رجوعها
الى نفس اللفظ والثاني وصف في الكلام به يقع التفاضل ويحصل الاعجاز وعليه
يطلق البراعة والبلاغة والبيان وما شاكل ذلك ولا نزاع ايضا في ان الموصوف
بها عرفا هو اللفظ اذ يقال لفظ فصيح ولا يقال معنى فصيح وانما النزاع في ان منشا
هذه الفضيلة ومحلها هو اللفظ ام المعنى والشيخ ينكر على كلا الفريقين ويقول
ان الكلام الذي يدق فيه النظر ويقع به التفاضل هو الذي يدل بلفظه على معناه
اللغوي ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود فهناك الفاظ ومعان
اول ومعان ثوان والشيخ يطلق على المعاني الاول بل على ترتيبها في النفس ثم
ترتيب الالفاظ في النطق على حذوها اسم النظم والصورة والخواص والمزايا والكيفيات
ونحو ذلك ويحكم قطعا بان الفصاحة من الاوصاف الراجعة اليها وان الفضيلة
التي بها يستحق الكلام ان يوصف بالفصاحة والبلاغة والبراعة وما شاكل
ذلك انما هي فيها لا في الالفاظ المنطوقة التي هي الاصوات والحروف ولا في المعاني
الثواني التي هي الاغراض التي يريد المتكلم اثباتها او نفيها فحيث يثبت انها من صفات
الالفاظ او المعاني يريد بها تلك المعاني الاول وحيث ينفي ان تكون من
صفاتها يريد بالالفاظ الالفاظ المنطوقة وبالمعاني المعاني الثواني التي جعلت
مطروحة في الطريق وسوى فيها بين الخاصة والعامة ولست انا احمل كلام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)